

جهود أبي عمرو بن العلاء فى تأسيس علم (معانى القرآن)

د. إيهاب محمد أبو ستة (✉)

مقدمة

فى مفهوم (معانى القرآن):

يكاد يكون المعنى (والجمع: المعانى) واحداً من أعقد المصطلحات
للغوية تعريفاً وأكثرها اختلافاً فيه^(١). ولعل هذا التعقيد، وذلك الاختلاف
راجعان إلى أسباب عدة أهمها^(٢):

أولاً - التداخل بين علوم إنسانية عدة (لغوية، وغير لغوية) فى
دراسة المعنى^(٣).

(*) مدرس بقسم اللغة العربية - كلية لإدب - جامعة عين شمس .

(١) قدم ريتشاردز وأوجدن (Richards & Ogden) (سنة ١٩٢٣م) ستة عشر تعريفاً للمعنى، ذهبوا إلى
أنها أشهر للتعريفات على أن هذه للتعريفات تصل إلى اثنين وعشرين تعريفاً إذا اعتبرنا التعريفات الفرعية.
انظر: The Meaning of Meaning, Richards & Ogden.

(٢) هذه الأسباب وغيرها جعلت أكثر الدارسين يحجمون عن درس المعنى النحوي، وعلاقته بالمعنى
الدلالي. من الأسباب الأخرى احتمال الجملة ذات الصياغة الواحدة معانى متعددة تدخل عليها من خارج
اللفظ بالتضمن، والإيحاء، والرمز وغير ذلك، وتزداد طبقات المعنى هذه تراكمًا برقي النص فى درجات
المنظوم أو المتنور، حتى إذا فاق ذلك كل غاية وبلغ إعجازاً مطلقاً لا ينتهي إليه البشر، ظلت طبقات
المعنى تلك غضة طرية أبداً كلما كشف فيها عن طبقة بدت أخرى، أعني بذلك كلام الله ﷻ، القرآن الكريم
الذي ((لا يخلق عن كثرة الرد)). ونظر النحو والدلالة لأستاذنا د/محمد حماسة عبد اللطيف، ص ٢٠.

ثانيًا - ربطه ربطاً وثيقاً بالمقام بحيث لا يكاد يكون ثمة معنى دلالي إلا بشقين متلازمين، الأول: المعنى للمقال، وهو مكون من (المعنى الوظيفي) المبني على التعلق بين مفردات النص، ويكمل هذا التعلق للمعنى المعجمي، وهو معنى عرفي اعتباطي غالباً لكل مفردة^(٤)، والشق الثاني: المعنى المقامي، وهو الظرف الاجتماعي المحيط بالكلام^(٥).

ثالثاً - ما تنسم به المعاني من كونها وليدة للفكر، وبنت للفهم الذي لا يتحقق بصورته للمثلي إلا لمن خبر أسرار اللغة التي يريد فهم معانيها، وعرف طباع متكلميها، واستبانته له طرائقهم في التعبير، وأنماط عدولهم

(٣) العلوم اللغوية تقدم معطياتها جميعاً للمعنى، فهو الغاية للغوية بل هو شطر اللغة، وهذه العلوم: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، وهذه العلوم لا تعدو معطياتها أن تكون كيقظاً مادياً يبقى بلا هوية حتى يتحصل منه المعنى. ومن العلوم غير اللغوية: الفلسفة - ولا سيما المنطق منها - وعلم النفس - ولا سيما علم السلوك منه - وعلم الرمز، وعلم الاجتماع - ولا سيما الأنتروبولوجيا منه. انظر: علم للدلالة لأستاذنا د/أحمد مختار عر، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١١-١٢.

(٤) يقول أستاذنا د/معلم حسان: ((ومن المعروف أن إجلاد المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك، لا يسلطنا إلا معنى المقال، أو المعنى الحرفي... أو معنى ظاهر النص... وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزل تماماً عن كل ما يحيط بالنص من للقرائن الحالية... وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى)) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧-٣٣٨ بتصريف. وهو أيضاً ما أشار إليه أستاذنا د/محمد حماسة عبد اللطيف من التفاعل بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية بقوله: ((وهناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية للمفرد الذي يشغل هذه الوظيفة، ويشكل هذا التفاعل بينهما مع الموقف المعين للمعنى الدلالي للجملة كلها)) النحو والدلالة. مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي، ط١، دار للشرق، القاهرة، ١٩٤٢هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٩.

(٥) انظر اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٢، ٣٣٩.

عن أصل الكلام، وتجوزاتهم في العبارات ركونا منهم إلى قرائن من السياق أو المقام، ثم درس حياتهم درساً دقيقاً؛ كيما يتحصل له الشطر الثاني من شطري المعنى؛ أعنى المعنى المقامي. وقد كان سبقاً وصل مداه أكثر من ألف سنة حين التقت البلاغيون العرب^(٦) لدور المقام في تحليل المعنى فكان تعريفهم للبلاغة - مع مقولات أضر - مشتملاً على هذين الشقين المتلازمين^(٧).

(٦) نعم، كان لليونانيين، والهنود مناقشات دارت حول المعنى، منها مثلاً تعرض أرسطو للفرق بين الصوت والمعنى، وتمييزه بين الموجودات في العالم الخارجي، والتصورات (أي المعاني)، الأصوات، وكان يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى صلة عرفية اصطلاحية. وكذلك تعرض أفلاطون للعلاقة بين اللفظ ومعناه معتقاً فكرة العلاقة الطبيعية بينهما، وكان للرواقيين (٣٠٠ ق.م) دور في صوغ مصطلحي الدال والمنلول. انظر موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبرت هنري روبنز، ترجمة د/أحمد عوض، عالم المعرفة (العدد ٢٢٧)، الكويت، ١٩٩٧، ص ٤٢، و ٤٦. وقد ناقش الهنود العلاقة بين اللفظ ومعناه منقسمين أيضاً إلى قول بالعلاقة الطبيعية الفطرية القيمة بين اللفظ والمعنى، وقول بالعلاقة اللزومية بينهما، وقول بالعلاقة الاصطلاحية. ونجد عندهم تقسيماً رباعياً لدلالة الألفاظ، فاللفظ يدل على منلول عام؛ نحو: (رجل)، أو على كيفية؛ نحو: (طويل)، أو على حدث؛ نحو: (جاء)، أو على ذات؛ نحو: (محمد). كما أشار الهنود إلى ملاحظات دلالية هي من الأهمية بمكان؛ نحو: أهمية السياق في تحديد المعنى، والترادف، والمشتراك اللفظي، والمجاز. انظر: البحث اللغوي عند الهنود، د/أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، ص ٩٩ وما بعدها.

(٧) وذلك قولهم المشهور: ((البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته))، وقولهم: ((لكل مقام مقال))، وقولهم: ((لكل كلمة مع صاحبها مقام))، وبالقولين الأخيرين كما يقول د/تمام حسان: ((وقع البلاغيون على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء. ولم يكن مألوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير Context of situation يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها)).

يدور الجذر (ع ن ي)، والمضارع منه (يعني)^(٨)، والمصدر الميمي منه (المعنى) = يدور حول المدلولات: قَصَدَ - أَهَمَّ - حَدَّثَ وَنَزَلَ - شَغَلَ^(٩)، ويلاحظ ما يلي.

١- ينكر الجرجاني في تعريفاته مصطلح (المعاني)، فيقول إنها: ((الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل))^(١٠). ويقول للراغب الأصفهاني في مفرداته: ((والمعنى: إظهار ما تضمنه اللفظ... والمعنى يقارن التفسير، وإن كان بينهما فرق)) وفي الفرق بين المعنى والتفسير يقول السمين الحلبي: إن ((الفرق أن التفسير هو الكشف

(٨) تمزج المعاجم العربية المتأخرة بين بعض معاني الجذرين (ع ن و)، و(ع ن ي)، لكن المعاجم المتقدمة كالعين والتهذيب فلا تمزج بينهما، ولعل مرجع هذا المزج خلاف لهجي، ولعل منشأه أيضاً راجع إلى الكسائي، فقد عرف عنه أخذُه عن العرب كما سيأتي في درس كتابه معاني القرآن، وأراه أقدم من شارك بين الجذرين في معنى؛ حيث أجاز (عنت الأرض تنمو بالنبات، وتعني) أيضاً؛ أي: أظهرته. تنظر للمقاييس لابن فارس، والصاحح للجوهري، والمحكم لابن سيده، واللسان، والقاموس (ع ن و). وأكثر المعاجم العربية يدور فيها الجذر (ع ن) حول المعاني: خضع وذل - أسير بما في ذلك معنى الإمساك والحبس والاستكانة - قهر - أظهر وأخرج. وهذه المعاني تخلص للجذر (ع ن) في العين للخليل فاروقاً بينه وبين الجذر (ع ن ي)، ونحو التهذيب للأزهري، والنهاية لابن الأثير.

(٩) انظر (ع ن ي) في: العين، والتهذيب، والصاحح، والمقاييس، وأساس البلاغة، والنهاية، والمحكم، والقاموس، واللسان، وفي العين والتهذيب: ((ومعنى كل شيء: محتته وحاله التي يصير إليها أمره)). وفي التهذيب: ((عن أحمد بن يحيى قال: المعنى والتفسير والتأويل ولحد)).

(١٠) التعريفات للجرجاني: ٢٨١، وهو بنصه في التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٦٦٢، ونحوه ما قال أبو البقاء الكفوي في الكليات ٨٤٢: ((المعنى: ما يفهم من اللفظ)).

والإيضاح... وقد يطلق المعنى على مدلول الألفاظ، وبه يقابل اللفظ، فيقال: معنى كذا: كذا، وقد يراد به التقدير؛ كقولهم: «وأسأل القرية»؛ المعنى: أهل القرية^(١١). يتبين من هذا الفرق أن ما جاء في مقدمة تحقيق معاني القرآن للفراعم أن ((معاني القرآن طريقة من طرق التصنيف قد تلحق بالتفسير، فهو تبين معني المفردات المشككة الغامضة، أو حل ما يظن تعارضه مع غيره، كما يقال في معاني الحديث؛ ومعاني الشعر)) = كلام فيه نظر من حيث إلحاق معاني القرآن بالتفسير، وهو خلط مرجعه التداخل الشديد بين التفسير ومعاني القرآن، واتساع علم التفسير^(١٢)؛ حتى أطلقت د/هدى قرآنة على معاني القرآن: التفسير النحوي للقرآن، وجعل د/رفيدة معاني القرآن منشأ التفسير بالرأي.

(١١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تح. محمود محمد السيد الدغيم، د. سيد ط، ١٤٠٧هـ، ٣٨٦، وانظر التفسير اللغوي للقرآن الكريم ٢٥٨.

(١٢) للتفسير أوسع علوم القرآن، وأشملها، حتى أنه يكاد يشمل علوم القرآن جميعاً. انظر مقدمة كشف الظنون. ناقلاً عن مفتاح السعادة. بل إن بعض كتب التفسير المتأخرة حملت بين ألفاظ العنوان منها لفظ المعاني، من ذلك (عين المعاني في تفسير السبع المثاني) لمحمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي (كان حياً في القرن السادس، وقيل: توفي ٥٧٣٨هـ. انظر طبقات المفسرين للأكنه وي ٢٧٤)، ومختصره: (إنسان عين المعاني)، وتفسير الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيعي البغدادي عنوانه لباب التأويل في معاني التنزيل تفسير القرآن، وكذلك كتاب الطبرسي الشيعي الإمامي عنوانه (مجمع البيان في معاني تفسير القرآن)، وكتاب الزجاج (معاني القرآن) يذكر صاحب هدية العارفين أنه في التفسير، ومعاني القرآن للأخفش يذكره الفهرست باسم (كتاب تفسير معاني القرآن).

ويلاحظ على التعريفات السابقة، ثم على ما شهدته الدرس الدلالي الحديث الميل الشديد بمصطلح المعنى إلى الانحصار في الدلالة المعجمية للألفاظ^(١٣)، دونما ارتقاء إلى مستوى التعلق بينها لتحصيل معنى الكلام، ذلك الذي نتكلم به على وجه التحقيق، لا الألفاظ المفردة، بل هو ما يحكم دوماً ما يبتقى لمعاني هذه الألفاظ من المعجم^(١٤).

على أنه لابد حال صوغ مصطلح (معاني القرآن) من الملاحظات التالية:

- ١- يقيد هذا المصطلح بإضافة مصطلح (القرآن) إلى مصطلح (المعاني)، فيتخصص عن عموم مصطلح (المعاني)- الذي هو جمع (المعنى)- لذا كان لابد لعلم (معاني القرآن) أن ينماز بمزيد من التفكير والتدبر^(١٥).

(١٣) لاحظ هذا أستاذي د/محمد حماسة عبد اللطيف، وكان من ذلك كتاب المرحوم د/إبراهيم أنيس (دلالة الألفاظ) ١٩٥٨م، وكتاب المرحوم د/أحمد مختار عمر (علم الدلالة) ١٩٨٢م. انظر النحو والدلالة ٢٠.

(١٤) والله در ابن مالك حين قال: ((كلامنا لفظ مفيد كاستقم))، ومن قبله ما قال سيبويه في مفتاح الكتاب ١٢/١: ((الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى)) في إشارة جلية لقيمة الكلام، وتعلق الألفاظ ببعضها لتأدية المعنى.

(١٥) يقول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١٨٥/١ (شلبى): ((وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير؛ لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين؛ ألا ترى الله يقول: «أفلا يتدبرون القرآن» سورة النساء: ٨٢، وسورة محمد: ٢٤) فحُضُنَا عَلَى التَّدْبِيرِ وَالنَّظَرِ، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ اللُّغَةِ، أَوْ مَا يُوَافِقُ نَقْلَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ))، وقال الزركشي في البرهان ١٨٠/١-١٨١: ((أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير)).

٢- لا يمكن القول: إن معاني القرآن هي ((تبيين معنى المفردات المشكلة الغامضة، أو حل ما يظن تعارضه مع غيره، كما يقال في معاني الحديث))^(١٦)؛ حيث إن واحداً من أهم أغراض التصنيف في معاني القرآن هو تبيين معاني المفردات القرآنية، إلا أن فيه - حين يقتصر على هذا الغرض - خلطاً واضحاً بين مصنفات (معاني القرآن)، ومصنفات (المشكل)^(١٧)، والشأن^(١٨) في هذه

(١٦) مقدمة تحقيق معاني القرآن للقراء.

(١٧) قال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الإسلام ١٤٦: ((وقد عني النحويون واللغويون بوضع كتب كثيرة تسمى (معاني للقرآن)... وقد نحوا في تأليفهم مناحي مختلفة، فمنهم من عني بمشكلات القرآن، وما يوهم الاختلاف فيه، والتعرض للكلمات التي ظاهرها التعارض كما فعل قطرب...، ومنهم من عني ببيان مجازات القرآن...، ومنهم من تعرض للمشكلات النحوية... إلى آخر ما سلخوا من مناح مختلفة)) فجعل كل هذا من معاني القرآن.

(١٨) لقول: الشأن فيها؛ لأن غير واحد من الكتب التي حملت عناوينها لفظ المشكل لم تقصد إلى هذا الجمع بين المتعارض من النصوص، بل لم تقصد لتفسير الغامض وحده، والذي قد يكون من المشكل؛ حيث عمدت للمشكل وغيره تشرحه، وتفيض فيه، من ذلك (مشكل إعراب القرآن) لمكي بن أبي طالب يقول ابن هشام في المعنى ص ٢ في معرض كلام عن أسباب طول كتب إعراب القرآن: ((إيراد ما لا يتعلق بالإعراب، كالكلام في اشتقاق اسم؛ أو من السمة كما يقول للكوفيون أو من السمو كما يقول للبصريون ؟ والاحتجاج لكل من الفريقين...، والكلام على ألفه لم حذفت من البسطة خطأ ؟ وعلى باء الجر ولامه لم كسرتا لفظاً ؟...، والمجب من مكي بن أبي طالب إذ أورد مثل هذا في كتابه الموضوع لبيان مشكل الإعراب مع أن هذا ليس من الإعراب في شيء))، ومن هذا الباب كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/م): ((كشف مشكل للصحيحين)) قال الحاج خليفة في كشف الظنون على لسان بعض من اختصره ١٤٩٥: ((رأيت يذكروا فيه شيئاً من الأحاديث غير مشكل أو مشكلاً ولا يأتي فيه شيء شاف)).

الأخيرة أن توضع للجمع بين المشكل - أي ما ظاهره
التعارض أو التناقض - من النصوص، من ذلك (تأويل
مشكل القرآن)، و(تأويل مشكل الحديث) كلاهما لابن قتيبة.

٣- للنحو دور وافر جدًا في نشوء معاني القرآن؛ حيث ظهرت
مصنفات معاني القرآن أول ما ظهرت مترجمة بإعراب القرآن
الكريم، حتى كان أوضح فصل بينهما في كتابي إعراب القرآن،
ومعاني القرآن كلاهما لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ/٩٤٩م) (١٩)؛
وعليه فإن التصنيف في معاني القرآن مر بطورين متمايزين؛
أولهما: المزج بين معاني المفردات والتركيب، وبين الإعراب،
والثاني: الفصل بين المعاني والإعراب، وعليه أيضًا، فإن وصف
مصنفات المعاني بما ذهبت إليه د/هدى قراعة حين قالت: ((لما
معاني القرآن فأرجح أنها التفسير النحوي للقرآن، فأصحاب كتب
المعاني إنما يفسرون القرآن في ضوء إعرابهم لآياته)) (٢٠) - وصف
ينطبق على علم معاني القرآن في طورها الأول.

(١٩) هذا الفصل هو الأوضح لا الأميق، فقد سبقه - في ظني - قطرب محمد بن المستير، وابن قتيبة،
وليس يعني هذا الفصل أنه لم تجتمع للمعاني والإعراب ثقيفة، فهذا كتاب لين لثقة الأصفياتي - وسيفي
ذكره - يجمع بين المعاني والإعراب، وعقوله: (رياضة الألسنة في إعراب القرآن ومعانيه). انظر:
طبقات المفسرين ١٥٧/٢، والفهرست، ومن ثم فإن ظلال الطور الأول كانت لها بقايا من بعد للنحاس.

(٢٠) مقدمة تحقيق معاني القرآن وإعرابه، دكتوراه، د/هدى قراعة: ص ٧.

٤- إن مصنفات (معاني القرآن) - لا سيما مصنفات الطور الأول- مصنفات قد تلحق بشيء من التسمح بالتفسير، إلا أنها ذات بنية خاصة^(٢١) تتركب مما يلي:

- المعاني المعجمية لمفردات القرآن، ومعاني اشتقاقاتها وفقاً لمعطيات المعجم العربي المبني بصورة أساسية على المعاني للمتخاة من سياقات كلام العرب، ويدخل تحت هذا المعاني المتعلقة باللهجات، والقراءات من حيث عزوها للهجة ما، أو من حيث بيان المعنى المعجمي للقراءة، ويدخل في هذا الجانب إيراد ما يحتمله اللفظ القرآني من وجوه منها ما يدعمه سند صحيح فتصح به القراءة، ومنها ما يحتمل أن يقرأ به، وله في ذلك معنى صحيح، لكنه فاقد للسند فلا تصح به القراءة؛ لأن القراءة سنة.

- معاني الأدوات (معاني حروف المعاني) وما سلك مسلكها؛ ولا سبيل لتعرف هذه المعاني إلا استعمالات العرب، وقد حصر النحاة فيما بعد معاني الحروف في كتب مخصوصة^(٢٢).

(٢١) تستصحب عناصر هذه البنية فيما يعرض له البحث من تحليل لنماذج من كتب معاني القرآن في مراحل تصنيفها.

• المعاني الوظيفية للتركييب القرآنية، وهي معان ناتجة من جدل النحو والدلالة؛ حيث يقابل تغاير الوظائف النحوية تغايراً في الدلالة، وعليه كان الإعراب والتحليل النحوي صورة جلية لهذه المعاني، بل إن علل التوجيه الإعرابي تدخل في هذه المعاني، وذلك من حيث تعليل توجيه الرفع، أو النصب، أو الجر، وبيان العامل من وراء ذلك... إلخ، حيث يستصحب هذا للتعليل ذكر المعاني التي من أجلها اختير هذا الوجه أو ذاك، ويدخل تحت هذا أيضاً التوجيهات النحوية للقراءات، وما يستخلص من معنى كل توجيه^(٢٢)، كما يدخل تحت هذا الباب أيضاً من المعاني بيان المبهمات التركيبية، كبيان المضممر، ومرجع الضمير، واسم الإشارة وصاحب الحال، والمميز، والموصوف، والمحذوف، وتقديره... إلخ.

• المعاني المناسبة (المقامية) لأي للقرآن الكريم، أعني بها علم (أسباب النزول)؛ وهو واحد من علوم للقرآن التي استقلت فيما بعد.

(٢٢) قال الزركشي في البرهان ٢٩١/١: ((ويحتاج للكشف عن ذلك (أي عن معاني مفردات للقرآن) إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً، فالحرّوف لقلتها تكلم النحاة على معانيها؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم، ولما الأسماء والأفعال؛ فيؤخذ ذلك من كتب اللغة (يعني للمعاجم)).

(٢٣) يقول السيوطي في الإتقان ٦٠/٢: ((ومن فوائد هذا النوع (أي إعراب للقرآن) معرفة للمعنى؛ لأن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين))، ونظر للنحو وكتب للتفسير ١٤٥/١.

- المعاني المشكّلة، وهي واحدة مما يعرض له علم معاني القرآن، وليست وحدها غايته، وقد استقلت أيضًا فيما بعد بمصنفات مخصصة.

٥- يفيد هذا الذي سرد من أنماط داخلة تحت (معاني القرآن) أنها تجمع بين طابعين؛ أولهما: الطابع اللغوي النحوي؛ حيث تبين المعاني اللغوية للمفردات، ومعاني النحو في التراكيب. والثاني: الطابع التفسيري؛ حيث يجمع علم التفسير الأنماط الداخلة تحت معاني القرآن، سواء ما استنبط من الكلام فيها بالرأي أو ما أثر ويزيد عليها ما استنبط من للفقه والأحكام، وأسباب النزول، والنسخ، والقصص، وبيان المبهمات التاريخية^(٢٤)... إلخ؛ ولو نظر امرؤ للطابع التفسيري وحده في معاني القرآن لذهب إلى

(٢٤) من هذا النحو أن يعمد صاحب المعاني إلى بيان المبهمات التاريخية التي سكت عنها القرآن الكريم، واجتهد المفسرون في إيضاحها؛ كبيان كنه الشجرة المنهى عنها آدم؛ حيث يروي الزجاج أنها السنبلة أو الكرم، وبيان ورق الجنة الذي طفا يخصصان عليهما منه بأنه ورق التين... إلخ. وما ورد من هذا الضرب إنما هو من اجتهادات المفسرين، ويغلب فيه أن يكون مظنة من مظان الإسرائيليات.

أن معاني القرآن كانت منشأ التفسير، أو أن كتب المعاني تطورت لتصبح من كتب التفسير، وليس كذلك^(٢٥)

أ- القراءات وأوليات الدرس النحوي للقرآن الكريم:

بدأ الدرس النحوي للقرآن الكريم عقيب نقط الإعراب الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ/ ٦٨٨م)^(٢٦) رأس الطبقة الأولى من النحاة البصريين. دار أغلب ما وصلنا من جهود^(٢٧) هذه الطبقة، وقد ضُمَّتْ إلى أبي الأسود عبد الرحمن بن هرمز المنفي الأعرج (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م)^(٢٨)،

(٢٥) يقول د/رفيدة: ((ولما كتبت كتب المعاني بدأت على هذا النحو الذي يغلب عليه الطابع اللغوي والتفسير النحوي الأبني، فإني لاحظ أنها بعد فترة من نشأتها أخذت تجمع بين صيغتها الأصلية، وللتفسير الأثري والفهمي من الجملين بين هذه العلوم أو بحكم تطورها إلى كتب تفسير بمعناها الفني)) النحو وكتب التفسير ١/١٤٣. وستأتي قريباً وقفة مفصلة عند هذا الكلام تتبين فيها طبيعة العلاقة بين معاني القرآن ومفاهيم آخر كالتفسير، والغريب، والمجاز ... إلخ.

(٢٦) روى الزبيدي في طبقات النحويين ٢١ عن أبي علي القالي عن الزجاج عن المبرد قال: ((أول من وضع العربية ونقط للمصالحف أبو الأسود ظالم بن عمرو)). قلت: وقضية (من أول النحاة) خلافة لا محل لها من الكلام هنا. وعلى أي فقد شاع بعد أبي الأسود هذا النقط، كان يحيى بن يعمر ينقط للمصالحف كما في طبقات الزبيدي ٢٩، وجاء في السبعة لابن مجاهد ص ٧٨ عن خلف أنه قال: ((كنت أحضر بين يدي الكسائي، وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته)).

(٢٧) أقتصر هنا على الكلام عن الجهود النحوية الدائرة حول القرآن الكريم لا الجهود النحوية عامة، وإن كانت جل الجهود المبكرة في الطبقات الثلاثة الأولى تدور حول القرآن الكريم.

(٢٨) ذكر الزبيدي في طبقته ٢٦ أنه من أول من وضع العربية، وهو تابعي من شيوخ مالك رحمه الله وأبي الزناد، وابن شهاب، ويروي عن أبي هريرة، وقرأ عليه وعلى ابن عباس، وقرأ عليه نافع كما في السبعة ٥٤. وله أحاديث مروية في الصحيحين، والطبري، وروي في المحتسب ١/٢٣٣ أنه قرأ: «لَا تُضَارُّ بِالْإِذَةِ» [سورة البقرة: ٢٣٣]، وقرأ: «مَعَاتَشَ» [سورة الأعراف: ١٠، والحجر: ٢٠] بالهمز على غير الأصح.

وكذا الطبقتين الثانية (تلاميذ أبي الأسود) والثالثة من بعد= دارت أغلب هذه الجهود حول القراءة، وضبط الأداء، ودرء اللحن؛ فوصلنا قليل من صريح حديث النحو، وكثير منه، تعليلاً وتوجيهاً، مسكوت عنه، تقين بين جنبات القراءة.

يذهب د/إبراهيم رفيدة - طيب الله ثراه- إلى أن ((الرأي النحوي هو ما كان يدور حول تحليل الآية إعراباً وتوجيهاً لا القراءة نفسها... والقراءة ليست رأياً، وإنما هي نقلٌ ورواية، والرأي ما يقال حولها))^(٢٩). قلت: نعم، القراءة سنة متبعة، ورواية منقولة، لكنها سنة - على أتباعها - مختارة، ورواية - على نقلها - منتقاة، واختيار المرء بعض عقله، وكل رأيه، قد سكت عنه، والوجه به متشبث، والعلة به مستمكة، ولو سئل بعض القراء عنهم؛ لكشف تعليلاً وأبان توجيهاً؛ ((فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للأثار فذلك الإمام الذي يفرع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين))^(٣٠). وقد كان أبو عمرو بن العلاء - وهو أحد هؤلاء - يقول: ((لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا

الطبري ٣١٦/١٢، وقرأ: «ولسليمان الريح» رفعا ((على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح)). ولم يستجزها الطبري ٤٨٢/١٨، وروى عنه الطبري أن ابن عباس كان يقول: «في عَيْنِ حَمَلَةٍ» سورة الكهف: ٨٦، ((ثم فسرهما: ذات حمأة))، وانظر المحتسب: ١٣٠/١، ١٨٥، ٢١٣، ٢٨٤-٢٨٥.

(٢٩) النحو وكتب التفسير: ١٠٦-١٠٧.

(٣٠) السبعة لابن مجاهد: ٤٥.

وكذا))^(٣١)، فالقراءة عنده رواية يختارها، وهو يعي علّتها، ويلزمها وهو يُدرك وجهها، ولا يدعها إلى قياسه وإن خالفته، ولا يتبع فيها مذهبه وإن أنت على غيره؛ وعليه فاختبار القارئ - لا سيما النحوي - إنما هو مرآة رأيه ابتداءً، وصورة توجيهه لنتهاء، والتصريح بالتوجيه بعد نقل في حق القارئ، واجب في حق النحوي^(٣٢).

ب- طبقة أبي عمرو بن العلاء ومعاني القرآن:

في الطبقات الثلاثة الأول من النحويين البصريين لا نكاد نظفر إلا بقراءات تحمل آراء نحوية مسكوتاً عنها، ولا يأتيها صريح البيان عن تلك الآراء إلا في الطبقة الرابعة (طبقة أبي عمرو بن العلاء) قليلاً، ثم يزداد في الخامسة (طبقة الخليل وسيبويه) وما بعدها.

(٣١) يقول د/عبد الصبور شاهين في لُزُز القراءات ١٠١ عن اختيار أبي عمرو قراءته: ((... فسلك في قراءته طريقة فذة، هي أنه يختار أصولها ومفرداتها اختياراً دقيقاً، يدل على علم الرجل واقتداره، فهو من هذا الوجه صاحب قراءة لا مقلد،... وهذا هو معنى الاختيار أنه انتقى أصول قراءته ومفرداته لانتقاء لا يتقيد بمذهب، ولا يمكن أن ينسب إلى مصدر بذاته من المصادر التعليمية في عصره؛ لأنه اختار بناء على فكره، لا بوحى من النقل والتقليد اللذين جرى عليهما معاصروه من القراء)).

(٣٢) لكن العجب كل العجب أن يتوقف شيخ النحاة سيبويه في توجيه قراءة لعيسى بن عمر الثقفي هي: «على تقوى من الله» [سورة التوبة: ١٠٩]! روى محمد بن سلام الجُمُحِيُّ أنه سأل سيبويه عن التتوين فيها فقال: ((لا أدري، ولا أعرفه))، وخرجها ابن جنى في المحتسب ٣٠٤/١ على أن عيسى حمل الألف على ألف الإحقاق لا التأنيث، قال ابن جنى: ((وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في قيس ذلك وألا يقول: لا أدري...))

تعد الطبقة الرابعة من النحويين البصريين طبقة الجهود الحقيقية في الدرس النحوي التحليلي للقرآن، وهي جهود كانت نواة (كتاب) سيبويه، ولبنة أولى في معاني القرآن التي تلقفت هذه الجهود عبر (الكتاب) فانبني عليها جل التحليل النحوي للقرآن وقراءاته. على رأس هذه الطبقة: أبو عمرو بن العلاء^(٣٣) (٧٠هـ - ١٥٤هـ/٦٩٠م - ٧٧١م)، يليه عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر^(٣٤) (ت ١٧٧هـ/٧٩٣م)، وعيسى بن عمر النقي^(٣٥) (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م)، ويروي عنهم سيبويه من طرق شيوخه أصحاب الطبقة الخامسة لا سيما الخليل ويونس.

(٣٣) يأتي أبو عمرو على رأس الطبقة الرابعة من النحاة، والثالثة من القراء. وهو بحاجة إلى مزيد درس، كما يقول استاذنا د/عبد الصبور شاهين في أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. أبو عمرو بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص ٥.

(٣٤) أخباره في طبقات الزبيدي ٤٠، والنزهة ٤٤، والبغية ٧٤/٢. ولا تكاد تخرج مرويات سيبويه عنه عن الشواهد من الشعر وكلام من يوثق بعربيته، ولم أظفر له بقول في القرآن؛ لذا سأعرض عن ذكره.

(٣٥) أخباره في أخبار النحويين للسيرافي ٣١، وطبقات الزبيدي ٤٠-٤٥، والنزهة ٢٨، والبغية ٢٣٧/٢-٢٣٨. وما ورد عنه في الكتاب أكثره شواهد ونماذج نحوية وآراء في مسائل لا تتصل بالقرآن، وروى عنه سيبويه قراءة، قال ١٤٣/٣: ((وكان عيسى يقرأ هذا الحرف: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ أراد أن يحكي كما قال ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [سورة الزمر: ٢] كأنه قال - والله أعلم -: ﴿قَالُوا: مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، وأكثر قراءته مروى في المحتسب، منها أنه قرأ: ﴿يُؤْتِيهِمْ كَلَامًا﴾ [سورة النساء: ١٢]، محذوف المفعول. وسيأتي جملته مع أبي عمرو بن العلاء الذي رد قراءة ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، وغير ذلك كثير في المحتسب ١/١٨٢، ٢٠٣، ٢٨٤-٢٨٥، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٣. والثابت أن سيبويه أخذ عن عيسى يقول في الكتاب ٣/٣١٩: ((حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعاً)) وعليه أستبعد أن يكون سيبويه قد مات ١٨٠هـ وهو ابن الأربعين؛ فعلى هذا يكون سمع من عيسى وهو دون العاشرة.

كان أبو عمرو أبرزهم أثرًا، وأكثرهم شيوعًا. يلتقي فيه التفسير والقراءة، واللغة، والنحو؛ لتتوحد أخذُه عن أئمة هذه العلوم^(٣٦). وللثابت أن سبعة من القراء العشرة لم يُرو عنهم من حديث اللغة والنحو شيء نو بال^(٣٧)، وإنما اشتغل من العشرة يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق (ت ٢٠٥هـ/٨٢٠م) باللغة والنحو^(٣٨)، والكسائي بالنحو^(٣٩).

(٣٦) يسرد ابن الجزري في غاية النهاية ٢٨٨/١، والذي في سير أعلام النبلاء ٤٠٧/٦، وجمال الدين المزي في تهذيب الكمال، نج. د/بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ١٢٢/٣٤-١٢١، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٢٥/٤ - يسرد هؤلاء وغيرهم شيوخ أبي عمرو، وهم بين مفسر ونحوي وقارئ، وخلاصة ما قالوا أنه قرأ للقرآن بمكة على ابن كثير المكي القارئ، وسعيد بن جبير المفسر القارئ، وعكرمة بن خالد بن العاصم القارئ، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصة القارئ، وعكرمة مولى ابن عباس المفسر القارئ، وحמיד بن قيس الأعرج القارئ المفسر، وقرأ للقرآن بالمدينة على يزيد بن رومان المدني القارئ، ولبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ، وشيبة بن نصاح المدني القارئ، ورتفع بن مهران الرياحي القارئ المفسر تلميذ أبي بن كعب، وقرأ في البصرة على يحيى بن يعمر النحوي، والحسن البصري القارئ المفسر، وعبد الله بن أبي إسحاق النحوي القارئ، وقرأ حروفا على عاصم بن بهلثة الكوفي القارئ، وأخذ النحو عن ابن أبي عروب النحوي، ونصر بن عاصم النحوي. وانظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص ٥١-٥٥.

(٣٧) هم: نافع المدني (ت ١٥٧هـ)، وابن كثير المكي (ت ١٢٠هـ)، وابن عامر النمطي (ت ١١٨هـ)، وعاصم الكوفي (ت ١٢٧هـ)، وحزمة الكوفي (ت ١٥٦هـ)، ويزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠هـ)، وخلف البخداي (ت ٢٢٩هـ). لاحظ ذلك د/عبد الصبور شاهين في أثر القراءات: ٦٠.

(٣٨) هو في الطبقة الخامسة من نحاة البصرة. طبقات الزبيدي ٥١ وجاء فيه ص ٥٤: ((قال أبو حاتم: وكان [أي يعقوب] أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف، والاختلاف في القرآن وتعليقه ومذاهبه، ومذاهب النحو في القرآن... ويعقوب كتاب سماه (الجامع) جمع فيه عامة الخلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأ به)).

(٣٩) ليس لأهل الطبقة الأولى من الكوفيين جهة يُذكر اللهم إلا بعض الجهود الصرفية ككتاب أبي جعفر الرؤاسي (رأس الكوفيين وتلميذ عيسى بن عمر التنقي من البصريين) في الجمع والإفراد لتظهر طبقات الزبيدي ١٢٥، وما يقال عن الرؤاسي مقول نحوه عن معاذ الهراء، وأبي مسلم المؤدب. أما الكسائي؛ ففي

واشتغل أبو عمرو باللغة والنحو والقراءة^(٤٠)، وهو، وإن غلبت شهرته بالقراءة، نَرِدُّ عنه مرويات في الطبري والكتاب، ومظان ترجمته، وهي مر معاني القرآن بمكان.

ج - معاني القرآن قبل أبي عمرو بن العلاء:

سُبِّحت جهود أبي عمرو في معاني القرآن بجهود شيوخه الذين ورثت عنهم مرويات هي من معاني القرآن إلا أنها أتت في حنايا التفسير والقراءات ممتزجة بهما، وهي تمثل ما تلقاه أبو عمرو بن العلاء؛ أَوَّلُ مَنْ وَرَدَ عنه درسٌ يُعَدُّ بحقٍّ من صُلُبِ معاني القرآن. تسلم الخليل، وأبو عبيدة من شيخهما أبي عمرو هذا الدرس، فأضاف أولهما إليه وألقاه من بعدُ لسببويه الذي كان كتابه أَقَنَمَ مدوّن وصلنا يحوي أسسَ الدرس التحليلي للقرآن الكريم، ويكاد يكون بحقّ النواة الأولى لمعاني القرآن.

أخذ أبو عمرو عن: أبي العالية رُفَيْع بن مهران الرياحي (ت ٩٥هـ/٧١٣م)^(٤١)، تلميذ أبي بن كعب رضي الله عنه، وسعيد بن جبير (ت

الطبعة الثانية من الكوفيين، وفيها بدأ جهدهم الحقيقي مبنياً على جهود بصرية سبقت بقرن كامل أو نحوه. انظر طبقات الزبيدي ١٢٧، وسبق القول إن الكسائي عمل كتابه على كتاب الأخفش الأوسط لتلميذ سببويه.
(٤٠) انظر أثر القراءات: ٦٠.

(٤١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، تح. د/إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ١١٢/٧، وطبقات خليفة بن خياط تح. د/سهيل زكار، ط١، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٣٤٨، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، د.ب، ج ٢ من القسم ١، ص ٢٥١، وتهذيب الكمال للمزي، ٢١٤/٩، وسير أعلام النبلاء ٣٠٧/٤، وفي

٩٥/٧١٣م^(٤٢)، تلميذ ابن عباس ؓ، وعكرمة مولى ابن عباس ؓ (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م^(٤٣)).

وقد وصلنا بعض التفاسير من هذه المرحلة المبكرة مصنّفات برأسها، وبعضها يترجّح لديّ أنه مصنّفات برأسها أيضاً، إلا أنها لم تصلنا، وانبثت آراء أصحابها في تضاعيف التفسير المأثور، وأهمها على الإطلاق تفسير الطبري^(٤٤).

الأخيرين مسرد وف بمظان ترجمته، وفيهما أيضاً: ((ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي المليحة، وبعده سعيد بن جبير، وبعده للسدي، وبعده سفوان الثوري)).

(٤٢) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٢٥٦/٦، ووفيات الأعيان ٣٧١/٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر، ١١/٤، والأعلام ٩٣/٣ وسير أعلام النبلاء ٣٢١/٤، وتهذيب للكمال ٣٦٠/١٠ وفي هذين الأخيرين مظان ترجمته.

(٤٣) ترجمته في طبقات ابن سعد ٢٨٧/٥، طبقات خليفة ٢٨٠، مقدمة ففتح الباري ٤٢٤، ٤٢٩، حلية الأولياء ٣٢٦/٣ - ٣٤٧، تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٠/١، وفيات الأعيان ٢٦٥/٣، ميزان الاعتدال ٩٣/٣، تاريخ الإسلام ١٥٦/٤، العقد الثمين ١٢٣/٦، ١٢٥، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧، سير أعلام النبلاء ١٢/٥، ومظانه بها.

(٤٤) جمع الطبري أكثر هذه التفاسير بأسانيداً وطُرُق روايتها. يقول ياقوت: إن الطبري ذكر في تفسيره ((من كتب التفاسير المصنّفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقتين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم طريقتين، وعن عبد الله بن مسعود طريقتين، وتفسير عبد الرحمن بن زيد أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان)) معجم الأبناء: ٢٤٥٣-٢٤٥٤/٦.

إن الطبيعة التصنيفية العامة لتفسير النصف الثاني من القرن الأول قد اتّسمت بجمع ما يؤثّر من فقه، وحديث، وإيضاحات لغوية للمفردات القرآنية^(٤٥).

هذه الإيضاحات أرهّصت بدرس المعرّب، واللهجات، وكلّيات ألفاظ القرآن. كان الأصل في هذه الإيضاحات الركون إلى استعمالات العرب، ومع قلة واضحة في الاستشهاد على هذه الاستعمالات آنذاك، لا يُستثنى من هذا إلا ابن عباس ؓ في مساجلته مع نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر.

بعض هذا التفسير في هذه المرحلة المبكرة كان بالرأي، يشهد لذلك مخالفات بعض مفسري التابعين لشيخهم ابن عباس في معان لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة، وقد أدّى هذا أحياناً لشيء من الخلاف الفقهي.

أرهّص في هذه الفترة بالاستعانة بأسباب النزول والسيرة النبوية، وغير ذلك من وجوه التّجمات التفسيرية لبيان المعنى، ودخلت الإسرائيليات على استحياء. وكانت القراءة - وهي بالرواية والتلقي والسند - تحمل في اختيار القارئ ما يروي إدراكاً نحوياً كما سبق، وكما سيأتي عند أبي عمرو بن العلاء.

(٤٥) لاحظ هذا د/سزكين في تاريخ التراث العربي ٨٣/١، ولاحظ أيضاً وقوف متنوع الدرجات إزاء الألفاظ المعربة في القرآن.

على أن السمة العامة للدرس التفسيري آنذاك كانت خلوه من الدرس النحوي لنص القرآن، وإن حوى إرصاصات هذا الدرس.

كانت هذه التفسير - بما حوته من شروح لغوية للمفردات - تمهيداً أولياً لما ظهر في النصف الأول للقرن الثاني من درس تفسيري تطور تطوراً سريعاً جداً، بالغاً بفعل نُضج الدرس اللغوي والنحوي إبان عيسى بن عمر النخعي (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م)^(٤٦)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ/٧٧٠م)، ثم في النصف الثاني من القرن الثاني إبان العبقرى الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) الذي يشهد ما بقي عنه بهذه العبقرية، ثم نزوة الدرس النحوي في نهايات القرن الثاني سيبويه (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)، ولا ينتهي القرن الثاني حتى يشهد الكسائي (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م)، والفراء (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) وأبا عبيدة (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م)، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ/٨٣٠م)؛ حيث بدأت^(٤٧) هذه الكوكبة، ومن تلمذ لهم الدرس النحوي واللغوي للقرآن متخذة عناوين مثل: (غريب القرآن) و(مجاز القرآن) و(معاني القرآن)؛ ما انعكس بدوره على الدرس القرآني بداية من

(٤٦) لا يكاد المرء يظفر بمصدر لمرويات عيسى قبل كتاب سيبويه، وما في الكتاب عنه نثر يسير جداً. ومن نقل القول ذكر كتليه للذهبي: (الإكمال) و(الجامع).

(٤٧) تعددت دواعي هذا البدء وأسبابه من اتصال هؤلاء للنحاة واللغويين بأولي الأمر من الخلفاء أو الوزراء، وسؤال هؤلاء عن بعض المعاني في القرآن، وكذا سؤال العلماء بعضهم بعضاً... إلخ.

أوائل القرن الثالث؛ فلا نكاد نظفر بدارسٍ مبرز للقرآن منذئذٍ إلا وهو نحوي أو لغوي^(٤٨) تأثر بهذه المصنفات.

د - أبو عمرو بن العلاء ومعاني القرآن:

سَبَقَ الْقَوْلُ: إِنَّ أبا عمرو بن العلاء اجتمعت فيه علوم اللغة والنحو والقراءة والتفسير. نَلَقَّى أبو عمرو علومه هذه عن طبقة التابعين وتابعيهم ممن جامعوا في الطبقة الثانية من المفسرين والقراء، والثانية والثالثة من النحاة، ولاتكاد مرويات سيبويه في كتابه تُجَاوِزُ طبقة هذا العلم إلا نادراً جداً، كما نقل عنه الخليل في العين وأبو عبيدة في المجاز، نقولاً دارت بين النحو، والدلالة المعجمية، والشواهد الشعرية. وعليه فإن جهود هذا العلم صورة واضحة لدرس معاني القرآن بجوانبها المتعددة قبل سيبويه. قام جنك صريح أو مكنون بين كثير مما رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء ومعاني القرآن، أوجزه فيما يلي:

(٤٨) من بعد سيبويه درس للنص القرآني من تكرت من اللغويين والنحاة، ومن غيرهم كان: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢هـ) وقد سبق ذكره، وسفيان بن عيينة الهلالي (ت ١٩٨هـ) انظر وفيات الأعيان ٣٩١/٢، ويحيى بن سلام البصري (ت ٢٠٠هـ) من تفسيره أجزاء بالزيتونة وجامع القيروان في تونس كتبت على الرق سنة ٣٨٣هـ، انظر الأعلام ١٤٨/٨، وروح بن عباد القيسي البصري (ت ٢٠٥هـ) انظر تهذيب التهذيب ٢٥٣/٣، وعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) يروي تفسيراً مأثوراً عن معمر، وأبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفي المحدث (ت ٢١٥هـ) تهذيب التهذيب ٣١٢/٨، وميزان الاعتدال ٣٨٣/٣، وأبو حنيفة موسى بن مسعود النهدي المحدث (ت ٢٤٠هـ) تهذيب التهذيب ٣٢٩/١٠، وجُلُّ للمرويات للتفسيرية لهؤلاء - وهم في الغالب محدثون على اختلاف درجاتهم جرّحاً وتعديلاً - عند الطبري.

أولاً - اختياره القراءة.

ثانياً - لهجته التميمية وميله لخفة النطق.

ثالثاً - تأويلاته النحوية واللغوية لأي القرآن الكريم والقراءات.

• • •

أولاً - اختياره القراءة:

القراءة أكثر ما روي عن أبي عمرو على الإطلاق، فقد كان ((المصّبُّ الذي انتهت عنده مدارس القراءة جميعاً))^(٤٩)، وهو ثالث السبعة عند ابن مجاهد. لأبي عمرو في قراءته جدلٌ مع معاني القرآن يعنيني إيضاحُ شيءٍ منه هنا^(٥٠):

(٤٩) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ٥٨.

(٥٠) درس أستاذنا د/عبد الصبور شاهين قراءة أبي عمرو في (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي)، وعرضَ في الباب الرابع من بحثه هذا بالدارس النحوي واللهجي لقراءة أبي عمرو، فبدأ الفصل الأول منه بفرش الحروف، ولقصر في الفصل الثاني: ٣١٧ - ٣٣٦ على مشكلة تسكين عين الكلمة، وفي الثالث: ٣٣٨ - ٣٦٠ على مشكلة تسكين حرف الإعراب في قراءة أبي عمرو، ثم ناقش سيبويه في تشذيبه تسكين المفتوح، وعرض آراء النحاة والقراء في المسألة، ولم يكن من منهجه الذي رسمه أن يعرض لتوجيهات أبي عمرو النحوية، ولا لأثره، وأثر اختيار قراءته في معاني القرآن من حيث تغاير المعاني بسبب هذا الاختيار. قال د/عبد الصبور: ((وقد اقتصر بحثنا على قراءة أبي عمرو، ومعنى ذلك أننا لم نهتم بشيء لا يتصل بروايات القراءة وظواهرها اللغوية؛ أي أننا لم نعرض لأبي عمرو اللغوي، ولا لأبي عمرو النحوي)) أثر القراءات: ٩-١٠.

١- قرأ ابن كثير ونافع والكسائي: ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] بفتح السين، على معنى (المسالمة)، وقرأ عاصم، وحمزة، وابن عامر، وأبو عمرو، بكسرها على معنى: (الإسلام)، أو (الصلح). قنم الطبري قراءة الكسر في هذا الموضع، واختار منها معنى (ادخلوا في الإسلام كافة). قرأ أبو عمرو (السلم) في سائر القرآن بالفتح مقتدياً بشيخه ابن كثير، إلا هذا الموضع، فإنه خالفه وقرأه بالكسر توجيهاً منه للمعنى الأقوى - وهو مختار الطبري - (ادخلوا في الإسلام كافة)^(٥١). سوّى الزجاج بين قراءتي الفتح والكسر، وفيها عنده لغات ثلاث بمعنى: الإسلام والصلح. قال: ((ويقال: السلم والسلم جميعاً، ويعنى به: الإسلام والصلح، وفيه ثلاث لغات؛ يقال: السلم، و السلم، و السلم))^(٥٢). قلت: لو استوين معنى لقرأ أبو عمرو بإحداهن في سائر القرآن، ولما فرق الطبري بينهما.

٢- قرأ عيسى بن عمر وأبو عمرو: ﴿يٰٓجِبَالُ أَوِىِّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبا: ١٠] بالنصب، واختلفا في المعنى؛ لاختلافهما في الإعراب. قال عيسى: ((هو على النداء، كما تقول: (يا زيد والحارث) لما لم يمكنه: (ويا الحارث))) فهو عنده منصوب عطفاً على محل المنادى المبني على الضم. قال أبو عمرو: ((لو كان على النداء لكان رفعاً، ولكنها على إضمار: (وسخرنا الطير)، لقوله

(٥١) انظر الطبري ٢٥٢/٤ - ٢٥٤، وذلك أن أبا عمرو قرأ: ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ [سورة محمد: ٣٥]،

﴿وإن جنحوا للسلم﴾ [سورة الأنفال: ٦١] بفتح السين. انظر السبعة: ١٨٠.

(٥٢) معاني القرآن للزجاج: ٢٧٩/١ (شليبي).

على إثر هذا: ﴿وَأَسْلَمْنَا الرِّيحَ﴾ (سبا: ١٢) (٥٣)؛ فهو منصوب مفعولاً لفعل محذوف. وتقديره هذا الفعل هنا أشدُّ انساقاً مع السياقين السابق واللاحق، وهو أيضاً ممّا يصنع مصنفو معاني القرآن، وعليه يكون المعنى: (ولقد آتينا داود منا فضلاً؛ قلنا: يا جبال سبّحي معه، وسخرنا الطيرَ يسبحن معه، وسخرنا لسليمان للريح) (٥٤).

٣- قرئ قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (الأعراف: ١٤٦): ﴿الرُّشْدُ﴾ بضم الراء، وتسكين الشين، وقرئ: ﴿الرَّشْدُ﴾ بفتح الراء والشين. وذهب للكسائي إلى أنهما لغتان بمعنى، لكنّ أبا عمرو - وقد قرأ بضمّ الراء، وتسكين الشين في هذا الموضع أسوةً بشيخه ابن كثير (٥٥) - ذهب إلى أنّ (الرُّشْدُ): الصلاح، كما قال الله: ﴿وَإِنْ أَسْلَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ (النساء: ٦) بمعنى: صلاحاً. أما (الرَّشْدُ) فهو في الدّين؛ لذا قرأ أبو عمرو في موضع

(٥٣) سورة سبا: ١٢، وانظر طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي: ٤١.

(٥٤) انظر القولين في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٣/٢، ووجوهاً في الآية مزينة عليهما في الطبري ٣٥٨/٢٠، ومعاني الزجاج ٢٤٣/٤، وفيه يقل قول أبي عمرو من طريق أبي عبيدة. (٥٥) قال ابن مجاهد في السبعة ٢٩٣: ((قرأ ابن كثير ونافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو: ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ بضم الراء خفيفة، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿سَبِيلَ الرَّشْدِ﴾ مثقلة بفتح الراء والشين، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي في الكهف: ﴿مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ مضمومة الراء خفيفة الشين، وقرأ أبو عمرو: ﴿مِمَّا عَلِمْتَ رَشْدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ ابن عامر: ﴿رُشْدًا﴾ مضمومة الراء والشين)). قلت وليس شيء أدل من هذا ونظائره كمواضع (السلم) السابقة على كون القراءة عندهم سنة متبعة، وليست مذهباً ولا قياساً نحويّاً، ولا احتمال رسم أو ضبط، وإنما هي اختيار سنن من مبدئه، ورواية من أولها، أما أيناسهم بالرسم، ونزوعهم إلى المعنى، كما نرى من أبي عمرو، فتأل لذلك، تابع له.

الكهف^(٥٦): ﴿تُعَلِّمِينَ مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا﴾ [الكهف: ٦٦] بمعنى: الاستقامة والصواب في الدين^(٥٧).

٤- قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه: ﴿مُرْدِفِينَ﴾^(٥٨) مفتوحة الدال. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بالكسر، قال أبو عمرو - وقد قرأ بالكسر -: ((هو من: أرْدَفَ بعضهم بعضًا)).

يروى الطبري إنكار بعض أهل العربية هذا القول محتجاً بأن ((الإرداف: أن يحمل الرجلُ صاحبه خلفه. قال: ولم يُسمع هذا في نعتِ الملائكة يومَ بدر)). قلت: لكنه مسموع في كلام العرب: (أردفته). و(ردفته)، بمعنى: (تبعته) و(أتبعته)^(٥٩)؛ وعليه فمعنى ﴿مُرْدِفِينَ﴾: (أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضًا)، وهو معنى نكره الزجاج لهذه القراءة^(٦٠)، أما المعنى الآخر لأردف فهو (أن الملائكة أردفت راکبةً بعضها بعضًا)، وهو

(٥٦) لاختيار أبي عمرو هنا خلاف قراءة شيخه ابن كثير الذي قرأ جميع المواضع بضم الراء وسكون الشين غير فارق بين المعنيين كالكسائي. انظر السبعة: ٣٩٤.

(٥٧) انظر للطبري: ١١٥/١٣-١١٦.

(٥٨) سورة الأنفال: ٩، ولنظر السبعة: ٣٠٤.

(٥٩) قال أبو عبيدة في المجاز ٢/٢٤١: ((﴿مردفين﴾ مجازه مجاز فاعلين من أردفوا أي جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردفي؛ أي: جاء يعدي، وهما لفتان))، وقال الزجاج في معانيه: ٤٠٢/٢: ((يقال: ردت الرجل؛ إذا ركبت خلفه، وأردفته: إذا أركبته خلفي،...، ويقال أردفت الرجل إذا جئت بعده))، وانظر (ردف) في اللسان.

(٦٠) قال الزجاج في معانيه: ((مردفين) يأتون فرقة بعد فرقة)).

المعنى الذي أنكره من روى الطبري عنه ذلك، واحتجابه بأنه مخالف لما سمع من وصف للملائكة يوم بدر وجه من القبول، فلا يبقى ثم إلا المعنى الذي اختاره الزجاج لهذه القراءة، وهو أن الملائكة جاءت يتبع بعضها بعضاً، وهو ظاهر كلام أبي عمرو.

أما قراءة «مُرْتَفِينَ»؛ فمعناها: أن الملائكة يفعل بهم ذلك؛ أي: (يُرتِف الله بعضهم بعضاً). أو (أُرتِف الله المسلمين بهم). لكن الطبري خطأ للمعنى الثاني في قراءة للفتح محتجاً بأن الضمير في «مُرْتَفِينَ» راجع للملائكة لا للمسلمين؛ أي: (مرتف بعض الملائكة ببعض)، فأرجاع الضمير فيه للمسلمين خلاف لظاهر القرآن^(٦١).

اختار أبو عمرو قراءة الكسر، ذاهباً لأحد معنيها، طائفاً ذلك المعنى تحت اختياره، وهو المعنى الراجح عند المفسرين وأصحاب المعاني.

٥- قرأ أبو عمرو: «يَوْمَ نَنفُخُ فِي الصُّورِ» [طه: ١٠٢]^(٦٢)، كأنه طلب التوفيق بينها وبين قوله ﷻ: «وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا» [١٠٢] وقد قبلها الطبري، لكنه قدم قراءة «يَنْفُخُ» لإجماع القراء عليها.

(٦١) انظر الطبري ٤١٤/١٣-٤١٥.

(٦٢) وانظر الطبري ٣٩٦/١٨، والسبعة: ٤٢٤.

٦- قرأ أبو عمرو: ﴿يُكَلِّتُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُ﴾ [الحج: ٢٣] ^(٦٣) بالخفض عطفًا على ﴿أَسَاوِرَ﴾ بظاهر إعرابها، وقرأ نافع، وعاصم: ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالنصب عطفًا على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾، أو بفعل محذوف تقديره: (يُحْلُونَ) ^(٦٤). قال أبو عمرو في ألف ﴿وَلَوْلُؤُا﴾، التي تُبعد قراءته: ((أُثْبِتَ فِيهِ كَمَا أُثْبِتُ فِي (قَالُوا)، و(كَالُوا)) ^(٦٥)، وهو قياس عجيب جدًا! وعلى أي فتخريج أبي عمرو بلا عطف على المحل، ولا تقدير فعل، لكنه مخالف لرسم المصحف.

٧- قرأ أبو عمرو: ﴿يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾ [الأحزاب: ٣٠] ^(٦٦) بالبناء للمجهول، وبلا ألف مع تشديد العين، ورفع العذاب نائبًا عن الفاعل، بمعنى: أَنَّ عَذَابَ مَنْ يَأْتِي مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلًا عَذَابِ غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ. وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي: ﴿يُضَعِّفُ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، ومعناها عند أبي عمرو أَنَّ يَنْضُمُ إِلَى الشَّيْءِ مِثْلَهُ؛ فَيَكُونُ ثَلَاثَةً أَمْثَالَهُ؛ فَيَكُونُ عَذَابُهَا ثَلَاثَةً أَمْثَالَ عَذَابِ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ. سوى بعض القراء

(٦٣) وهي قراءة شيخه ابن كثير، وقراءة ابن عامر، وحزمة، والكسائي. انظر: السبعة: ٤٣٥.

(٦٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تح. د/عبد العال سالم مكرم، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٥٢. وقال الزجاج في معانيه ٤٢٠/٣: ((ومن قرأ ﴿لَوْلُؤُا﴾ أراد: (ومن لؤلؤ)، وجائز أن يكون: (أساور من ذهب ولؤلؤ)؛ فيكون ذلك فيها خطأ من الصنفين)).

(٦٥) الطبري: ٥٩٤/١٨.

(٦٦) وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾، وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي: ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾. انظر السبعة ص ٥٢١.

واللغويين بين: (يُضَاعَفُ) و(يُضَعَّفُ)^(٦٧)، وردُّ الطبري قراءة أبي عمرو وتأويله، قال: ((والصواب من القراءة في تلك ما عليه قراء الأمصار، وذلك: **﴿يُضَعَّفُ﴾**. وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو، فتأويل لا نعلم أحداً من أهل العلم ادَّعاه غيره، وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى^(٦٨)). وصف الطبري ما ذهب إليه أبو عبيدة وشيخه بأنه ((تأويل لا برهان له))^(٦٩). وصحَّح الأزهرى في تهذيب اللغة ما ذهب إليه أبو عبيدة وشيخه أبو عمرو، وساق برهانه، قال: ((الضَّعْفُ في كلام العرب: المِثْلُ إلى ما زاد، وليس بمقصود على مِثْلَيْنِ، فيكون ما قاله أبو عبيدة صواباً،...؛ لأنَّ الضَّعْفَ في الأصل زيادة غير محصورة. ألا ترى قول الله ﷻ: **﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾** [سبا: ٣٧] لم يُرد به مِثْلًا ولا مِثْلَيْنِ، ولكنه أراد بالضَّعْفُ: الأضعاف،....، فأقلُّ الضَّعْفِ محصورٌ، وهو المِثْلُ، وأكثره غيرُ محصور.

(٦٧) نقل الطبري ٢٥٥/٢٠ عن قراء: «ضاعف» قولهم: ((لا نعلم بين: «يُضَاعَفُ» و«يُضَعَّفُ» فرقاً)). وقال الزجاج في معانيه ٢٢٦/٤ بعد أن حكى قراءة أبي عمرو: «يُضَعَّفُ»: ((وكلاهما يعنِي: يضعف ويضاعف [جيّد])). وانظر للسان: (ضعف).
(٦٨) قال أبو عبيدة في المجاز ١٣٦/٢-١٣٧: ((«يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»؛ أي: يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة؛ لأن ضعف الشيء: مثله، وضعف الشيء: مِثْلًا الشيء. ومجاز «يضاعف» أي: يجعل الشيء، شينين حتى يكون ثلاثة، فلما قوله: «يُضَعَّفُ» أي: يجعل الشيء شينين)). وقال الأزهرى في تهذيب اللغة (ض ع ف): ((هذا الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم، وما يتعارفونه بينهم)) فقبل ما رده الطبري.
(٦٩) الطبري: ٢٥٥/٢٠، وكذلك كان صنيع الزجاج في المعاني ٢٢٦/٤؛ حيث قال: إن تأويل أبي عبيدة ليس بشيء.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَضَعَفَ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] فإنهما ضعفتان اثنتان، فإن سياق الآية والآية التي بعدها دلّ على أن المراد من قوله ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مرتين؛ ألا ترى قوله بعد ذكر العذاب: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]. فإذا جعل الله لأمهات المؤمنين من الأجر مثلي ما لغيرهن من نساء الأمة تقضيلاً لهن عليهن، فكذلك إذا أنت بفاحشة إحداهن غنبت مثلي ما يُعَذَّبُ غيرها. ولا يجوز أن تُعطى على الطاعة أجرين، وعلى المعصية أن تُعَذَّبَ ثلاثة أعزبة ((٧٠)).

٨- قرأ أبو عمرو: ﴿فَذَانِكَ﴾ [القصص: ٣٢] ^(٧١) بتشديد النون. وقال: التشديد من لغة قريش (٧٢). فبين لهجة أتكا عليها في القراءة تُغايّر لهجته التميمية، وغالب الظن أنها عن شيخه ابن كثير (٧٣).

٩- قرأ أبو عمرو: ﴿يُخْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ﴾ [الحشر: ٢] ^(٧٤) بتشديد الراء، بمعنى: يُهْنَمُونَ بيوتهم؛ لأنَّ (الإخراب): ترك المكان خراباً بغير ساكن، لكن بني النضير لم يتركوا منازلهم ليرتحلوا عنها بل خربوها بالنقض والهزم،

(٧٠) تهذيب اللغة: (ض ع ف)، وعنه اللسان (ض ع ف).

(٧١) وهي قراءة ابن كثير المكي أيضاً. انظر السبعة: ٤٩٣.

(٧٢) الطبري: ٥٧٦/١٩. على أن الزجاج يقول في معانيه ١٤٣/٤: ((فَكَانَ «فَذَانِكَ» تَثْنِيَةً (ذلك)، و«ذَانِكَ» تَثْنِيَةً (ذاك)، جَعَلَ بَدَلَ اللَّامِ فِي (ذلك) تَشْدِيدَ النُّونِ فِي «ذَانِكَ»)) وهو بعيد.

(٧٣) انظر السبعة: ٤٩٣.

(٧٤) وذكر الطبري ٢٦٦/٢٣ أن التشديد قراءة شيخي أبي عمرو: الحسن البصري، وأبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف. وانظر السبعة: ٦٣٢.

فالمعنى المصنق للواقع عنده مأخوذ من قراءة للتشديد. قَتَمَ الطبري والفراء قراءة الجمهور على قراءة أبي عمرو، وإن صوباً هذه الأخيرة؛ قال للفراء: ((كَانَ يُخْرِبُونَ)): يَهْئَمُونَ وَيُخْرِبُونَ، بالتخفيف: يخرجون منها يتركونها،...، وكل صواب. والاجتماع من قراءة للقراء أحبُّ إليَّ)) (٧٥)، ونقل الطبري عن بعض أهل المعرفة بكلام للعرب قوله: ((للتخريب والإخراب بمعنى واحد، وإنما ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى)) (٧٦).

١٠- قرأ ابن كثير ونافع: ﴿تَرْكِي﴾ [النزاع: ١٨] بتشديد الزاي من: (تتركي) بقلب التاء زايًا والإدغام، وقرأ أبو عمرو مخالفاً شيخه ابن كثير، موافقاً بقية السبعة: ﴿تَرْكِي﴾ (١٨) بالتخفيف (٧٧)، ((وكان أبو عمرو يقول فيما ذكر عنه: ﴿تَرْكِي﴾، بتشديد الزاي، بمعنى: تتصدق بالزكاة،...، وموسى لم يدعُ فرعون إلى أن يتصدق وهو كافر، إنما دعاه إلى الإسلام، فقال: تركي؛

(٧٥) معاني القرآن للفراء: ١٤٣/٣.

(٧٦) الطبري: ٢٦٦/٢٣، وفي اللسان (خ ر ب): ((وخرَّبُوا بيوتهم: شُدَّ للمبالغة أو اقْشُرُوا ليعمل وفي التنزيل: ﴿يُخْرِبُونَ بيوتهم﴾ مَنْ قرأها بالتشديد: معناه: يُهَيِّمُونَهَا، ومن قرأ: ﴿يُخْرِبُونَ﴾: فمعناه يخرجون منها ويتركونها، والقراءة بالتخفيف أكثر، وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بتشديد الفاء، وقرأ مسافرُ القراء: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ مخففاً، وأُخْرِبَ يُخْرِبُ مثله)). وهو ظاهر كلام اللزجاج في معانيه ١٤٤/٥ إذ لم يشر للقراءة ولا للخلاف، بل جعل التخريب واقع في البيوت من المؤمنين ولليهود.

(٧٧) السبعة: ٦٧١. وقال ابن مجاهد: ((وروى عباس عن أبي عمرو ﴿تَرْكِي﴾ مشددة))، ويبيده قول أبي عمرو للوارد هنا عن هذه القراءة.

أي: تكون زاكياً مؤمناً)) (٧٨). اختار أبو عمرو خلاف قراءة شيخه ابن كثير مستنداً إلى فرق ما بين معنى القراءتين، متخذاً أنسبهما في المعنى لسباق الحال. لكن الطبري يقدّم قراءة التخفيف، ويظهر من كلام أبي علي الفارسي التسوية بين القراءتين (٧٩).

١١- قرأ أبو عمرو وشيخه ابن كثير: ﴿حَقَّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣] (٨٠)، و﴿وَيَنْتَهُمُ سُدًّا﴾ [الكهف: ٩٤] بفتح السين في سورة الكهف، ويضم السين في سورة يس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا﴾ (٨١). قال أبو عمرو فارقاً بين المعنيين: ((السدّ) بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء؛ و(السدّ) بالضم: ما كان من غشاوة في العين)) (٨٢). فرق أبو عبدة بين المعنيين فرقاً مختلفاً؛ فالسدّ عنده ما كان من فعل الله كالجبال والشعاب، وما بناه الآميون فهو سدّ (٨٣). لكن نافعا وابن عامر وعاصمًا في رواية أبي بكر على ضمّ السين في كل المواضع، وروى حفص عن عاصم فتح السين

(٧٨) الطبري: ٢٤/٢٠١.

(٧٩) الحجة للقراء السبعة: ٦/٣٧٤.

(٨٠) وحزمة والكسائي على ضم السين في هذا للموضع وحده، ويفتحون للسين فيما سواه. انظر السبعة: ٣٩٩.

(٨١) سورة يس: ٩.

(٨٢) الطبري: ١٨/١٠١.

(٨٣) مجاز القرآن ١/٤١٤. ولأبي علي الفارسي فرق آخر هو أن السدّ مصدر الفعل، والسدّ: مصدر بمعنى لسم المفعول؛ أي: المسدود، فصل فيه بين مصدر الفعل بمغايرة حركة الفاء؛ نحو: السقي والمضي والطحن والطعن. الحجة للقراء السبعة ٥/٩٣.

في كل المواضع، فكأنه لا فرق بين المعنيين عندهم. ومواضع الجدل بين المعنى والقراءة عند أبي عمرو كثيرة جدًا في الطبري (٨٤) وغيره (٨٥).
ثانيًا - نُقِرْ لهجته التميمية وميله لخفة النطق.

حديث أبي عمرو وإسكان عين الكلمة ولامها وفق لهجته التميمية، وما يستتبعه من حديث خفة النطق، والإدغام، وكونه إسكانًا أو اختلاسًا، وعدوله أحيانًا عن الإسكان إلى التحريك = حديث طويل جدًا، والجدال فيه بين النحاة أطول (٨٦)، وليس يعني هنا إلا ما تعلق منه بمعاني القرآن (٨٧).

(٨٤) انظر الطبري: ٥٦٩/١٥ - ٥٧٠، ١٦٤/١٨، ٦١٦، ٦٧/١٩، ٤٨٧، ٣٩/٢٠، ٣٨٥/٢١، ٤٤٧/٢١، ١٧٢/٢٣، ٣٣٣، ٦٣٨، ٦٤١، ٣٥٢/٢٤ - ٣٥٣.

(٨٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة كثير جدًا من هذه المواضع وتوجيهها وبيان المعنى وراء اختيار أبي عمرو لها في العجة لأبي علي، والمحتجب لابن جني.

(٨٦) مذهب أبي عمرو في التشكين والإدغام تراه في السبعة ١١٦ - ١٢٢، وانظر: الفصائل ٢٠/١، ٢٠٣، والمحتجب: ١٠٩/١، وأثر القراءات للكتور عبد الصبور شاهين: الباب الثاني، الفصل الثاني، والباب الرابع للفصلين: الثاني والثالث.

(٨٧) من وجوه إسكانه عين الكلمة التي لا تنطق بالمعاني قراءته: ﴿أَكْلَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٦٥]، ومعه ابن كثير ونافع، انظر السبعة: ١٩٠. و﴿سَبْعَ مِائِينَ دِينَارًا﴾ [سورة يوسف: ٤٧]، ومعه بقية السبعة غير عاصم من رواية حفص، انظر السبعة: ٣٤٩. و﴿سَبَلًا﴾ [سورة إبراهيم: ١٢] [سورة العنكبوت: ٦٩]، و﴿وَسَلِّمْ﴾ [سورة غافر: ٥٠]، و﴿وَسَلِّمْهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٠١]، ومواضع عدة من القرآن، و﴿عَطَوْتُ لِلشَّيْطَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٨، ٢٠٨]، ومواضع أخرى، وانظر السبعة ٣٨٢ - ٣٨٣، وغير ذلك مما عرض له في أثر القراءات ص ٣١٨ وما بعدها. ومن إسكانه لَمْ للكلمة الذي يسميه النحويون اختلاسًا: ﴿سَارِقَتُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٤] [ثَمَنِي ثَمِينَ] [سورة التوبة: ٤٠]، و﴿وَلَمَّزَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٦٧]، ومواضع أخرى، و﴿وَلَمَّزَهُمْ﴾ [سورة الطور: ٣٢]، و﴿وَلَمَّزَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، و﴿وَلَمَّزَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠]، والملك: ٢٠، و﴿وَلَمَّزَكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩]، ومن إسكانه آخر اللفظ: ﴿وَوَدَّ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٥]، والشورى: ٢٠، و﴿وَوَدَّ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥]، و﴿وَوَدَّ﴾ [سورة النساء: ١١٥]، و﴿وَوَدَّ﴾ [سورة]

حاذَ بآبي عمرو مَيْلَهُ للتسكين التميميَّ أحياناً عن الماضي مفتوح العين إلى المصدر ساكنها، من ذلك ما قرأ به قول الله ﷻ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [سجدة: ٧] (٨٨). يُسوَّى للطبري بين قراءتي التسكين والفتح، ويُبيِّن فرقَ المعنى، فيقول: ((إنهما قراءتان مشهورتان،...، وذلك أن الله أَحْكَمَ خلقه، وأحكم كل شيء خلقه)) (٨٩)، وقال ابن خالويه: ((فالحُجَّة لمن أسكَّن أنه أراد: للذي جعل عباده يحسنون خلق كل شيء، ويحتمل أن يكون أراد المصدر فكأنه قال الذي أَحْسَنَ كل شيء خَلَقًا وإبتداءً، والحجة لمن فَتَحَ أنه أراد للفعل الماضي وللهاء المتصلة به في موضع نصب لأنها كناية عن مفعول، به ومعناه أنه أحسن خلق كل شيء خلقه)) (٩٠). ونحو هذا ما قرأ أبو عمرو: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلَقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشراء: ١٣٧] (٩١)، وتأوله بمعنى: لفتراء الأولين وكنبهم ولحاديثهم (٩٢).

[الزمر: ٧]، وتُنظر الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني، تح. د/عبد المهيمن طحان، ط١، دار المنارة، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٤١، وتُنظر للقراءات: ص ٣٣٨ وما بعدها.
(٨٨) وقرأ ابن كثير وابن عمر أيضاً بسكون اللام، وقرأ نافع، وعاصم، وحمره، والكسائي بفتح اللام.
السبعة ٥١٦.

(٨٩) للطبري: ١٧٠/٢٠.

(٩٠) الحجة في القراءات للسبع: ٢٨٧.

(٩١) وهي قراءة شيخه ابن كثير، وقراءة الكسائي أيضاً، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلَقَ﴾. للسبعة: ٤٧٢.

(٩٢) تَنْظُرُ للطبري: ٣٧٧/١٩.

١- قرأ أبو عمرو: **(كَيْسَفًا)** ^(٩٥) بالتسكين في كل القرآن إلا موضع سورة الروم قرأه بالفتح. فرق للفراء بين معنى **(الكَيْف)** و**(الكَيْف)** فقال: **((الكَيْف: الجِماع، ...، والكَيْف مصدر. وقد تكون (الكَيْف) جمع كَيْفَة))** (٩٦)، وعليه فالكَيْف عند الفراء: جمع (كَيْفَة)؛ نحو (قَرَب) و(قَرَبَة)، و**(الكَيْف)**: إما مصدر (كَيْف)؛ نحو (فَكَر،

(٩٦) معاني القرآن للتراء: ١٣١/٢، وفيما رواه ابن منظور في اللسان (كسف) عن لفراء بعض خلاف في اللفظ قال: ((لَكِسْتُ، وَلَكِسْتُ وَجْهَانِ وَلَكِسْتُ الْجِمَاعَ)) ولعله يريد وجهين من القراءة، وإلا فالخلاف في المعنى لا يُسَوِّى بين الوجهين.

فَيَكْرًا)، وهو بالفتح والكسر، أو جمع (كِسْفَة)؛ نحو (نَبَق) و(نَبَقَة).
 كان فرق الزجاج لَقْلُ وضوحًا قال: ((فَمَنْ قرأ: ﴿كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]
 جعلها جمع (كِسْفَة) وهي اللقطة، ومن قرأ: ﴿كِسْفًا﴾ فكأنه قال: أو
 تسقطها طبقًا علينا)) فعرض للجمع، وأعرض عن المصدر (٩٧).
 إذن ربما اختار أبو عمرو اختيارًا مخالفًا لهجته التميمية، وميله لخُفَة
 للنطق بالحركة على الإسكان، وبعضُ ذلك أثر في المعنى.

* * *

ثالثًا - التأويلات النحوية واللغوية لأي القرآن الكريم والقراءات.

إذا كان ما سبق من جدل بين قراءة أبي عمرو ومعاني القرآن مستتبطنًا
 مما كمن في اختياره للقراءة، أو ما تأثر به من قراءة شيخه ابن كثير، أو
 لهجته التميمية... إلخ؛ فإن له تأويلات نحوية ولغوية تلمح أحيانًا وتُصرِّح
 كثيرًا بأنه رائد علم معاني القرآن. من ذلك:

١- قرأ عيسى بن عمر النقي، وسعيد بن جبير، والحسن البصري
 بخلاف عنه، ومحمد بن مروان المدني، وعبد الله بن أبي إسحاق: ﴿هَؤُلَاءِ
 بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] بجعل (هن) فصلًا، وقد اختل من

(١٧) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٥٩، وعنه اللسان: (ك س ف).

شروطه (٩٨). أنكرها أبو عمرو، وقال لعيسى: ((كيف تقول: هؤلاء بنيّ.. هم ماذا؟ قال: عشرين رجلاً))، فأنكر هذه أيضاً (٩٩)، وروى سيبويه عن يونس أن أبا عمرو عدّ القراءة به لحناً، وقال: ((احتبى ابن مرون في ذه في اللحن)) (١٠٠). يُخرج ابن جني هذه القراءة بجعل ﴿هَنْ﴾ خبراً عن ﴿بَنَاتِي﴾، ونصب ﴿أَطَهَرَ﴾ حالاً من إحداهما، عمل فيه معنى الإشارة، نحو: (هذا زيد هو قائماً) (١٠١). وهذا للتخريج مدفوع بكلام أبي إسحاق الزجاج، شيخ شيخ ابن جني، قال في معانيه: ((وباب (هذا): يتم للكلام بخبره إذا قلت: (هذا زيد)، فهو كلام تام، ولو جاز هذا؛ لجاز: (جاء زيد هو أنبل من عمرو)، وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز (قدم زيد هو أنبل منك) حتى يرفعوا فيقولوا (هو أنبل منك)) (١٠٢).

(٩٨) في الضمير الواقع فصلاً، ويقول له الكوفية: الجمل لو للأعلة، شروط: أن يكون ضمير رفع منفصلاً، مطبقاً للاسم قبله، وهذا الاسم معرفة مبتدأ أو ما أصله المبتدأ، وما بعد ضمير الفصل معرفة أو ما يشبهها خبر المبتدأ أو ما أصله المبتدأ. انظر الكتاب ٣٨٩/٢-٣٩٠، والنحو الوافي للأستاذ عباس حسن - رحمه الله - ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ٢٤٥-٢٤٦.

(٩٩) طبقات الزبدي ٤١، وتظهر طبقات فحول للشعراء: ١٨، والطبري ٤١٥/١٥-٤١٦، والمحتسب ٣٢٥/١، والكتاب: ٣٩٦/٢-٣٩٧.

(١٠٠) عزّ الزجاج وابن جني هذا القول وتضعيف القراءة لسيبويه، انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧/٣-٦٨، وفيه تفصيل الرد في المسألة، وانظر المحتسب ٣٢٥/١.

(١٠١) انظر المحتسب: ٣٢٦/١.

(١٠٢) معاني القرآن: ٦٨/٣.

٢- روى سيبويه عن الخليل قول أبي عمرو في إعراب: ﴿مَتَى وَتَلَّتْ وَرُبِعَ﴾ (١)، قال: ((صفة كأنك قلت: (لوي أجنحة اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة)) (١٠٣). قال سيبويه: ((وتصديق قول أبي عمرو قول ساعدة بن جوبة:

وَلَكِنَّمَا أَفْلَى بِوَلَدِ أَيْسَى
ثَنَابٌ تَبَغَّى النَّاسَ مَتَى
(وموحد) (١٠٤)

٣- روى سيبويه أن أبا عمرو كان لا يصرف (سبا) يجعله اسماً للقبيلة، وهي تُصرف جوازاً على أنها اسم للحَيِّ، كما في القراءة: ﴿وَحِشَّتَكَ مِنْ سَيِّدٍ بَنِي يَمِينٍ﴾ (٢٢) (الند: ٢٢)، وتصديق قول أبي عمرو قول الشاعر (١٠٥):

مِنْ سَبَاً لِلْحَاضِرِينَ مَأْرَبٍ إِذْ
يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وهو ما ذهب إليه للزجاج في معانيه، وإن خالف ظاهره ما دُلَّ به سيبويه للصرف والمنع؛ حيث جعل للزجاج علة المنع أنه اسم مدينة (أي:

(١٠٢) استدل الخليل بقول أبي عمرو هذا على منع هذه الألفاظ من الصرف للوصفية والمعدل عن أصله (تئين... إلخ؛ نحو (لخر). انظر للكتاب: ٢٢٥/٣.

(١٠٤) البيت في ديوان الهذليين، ٢٤، دُر للكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ٢٣٦/١، وللكتاب: ٢٢٥/٣ - ٢٢٦، وتخرجه فيه، وللشاهد منع (متى وموحد) فيه من الصرف، للوصفية والمعدل.

(١٠٥) يتنازعه للناطقة الجمدي في ديوانه ١٣٤، وأميه بن أبي الصلت في ديوانه ٥١، وانظر للكتاب ٢٥٣/٣، وتخرجه فيه، واللسان (د ح ر ج)، وللشاهد منع (سبا) اسم قبيلة من الصرف.

مؤنث)، وجعل على الصرف أنه اسم بلد (أي: منكر)، أو أن المدينة سُميت باسم رجلٍ هو (سبا) (١٠٦).

٤- روى الطبري (١٠٧) أن أبا عمرو جعل (ما) في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (الليل: ٣) ^(١٠٨) بمعنى (من)، قال الطبري: ((قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعْد: (سبحان ما سُبِّحَتْ له) بمعنى: (من سُبِّحَتْ له)، فأبْد أبو عمرو ما ذهب إليه شيخه الحسن البصري من أن معناها: (والذي خلق الذكر والأنثى). وللطبري وللزجاج فيها توجية آخر بجعل (ما) مصدرية، ويكون المعنى: (وخلق الذكر والأنثى) (١٠٩).

(١٠٦) جاء في معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤: ((قلنا من لم يصرف؛ فيجعله [أي: سبا] اسم مدينة، ولما من صرف؛ ففكر قوم من النحويين أنه اسم رجلٍ واحد، ونكر آخرون أن الاسم إذا لم يَنكر ما هو لم يصرف. ولأخذ هذين القولين خطأ؛ لأن الأسماء حقها الصرف، فإذا لم يُعلم الاسم للمذكر هو لو للمؤنث؛ فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف؛ لأن أصل الأسماء للصرف، وكل ما لا ينصرف فهو يُصرف في الشعر. ولما الذين قالوا: إن (سبا) اسم رجلٍ فغلطوا أيضاً؛ لأن (سبا) هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن ... فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه - وللصرف فيه أكثر في القراءة - فلأنه يكون اسماً للبلد فيكون مذكراً سمي به منكر، فإن صححت فيه رواية فإما هو أن للمدينة سُميت باسم رجلٍ)).

(١٠٧) نظر الطبري: ٤٦٧/٢٤.

(١٠٨) وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو الدرداء وابن مسعود: ﴿والذكر والأنثى﴾.

(١٠٩) للطبري: ٤٦٧/٢٤، ومعاني للزجاج ٣٣٢/٥، وفيها يقول الزجاج: ((هو ما بناها): وبنائها)).

٥- روى أبو عمرو، عن شيخه عكرمة في قوله ﷺ: «فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ» [البقرة: ٢٦٠] أنه بالنبطية، ومعناه: قَطْعُهُنَّ (١١٠).

٦- روى للزجاج في معانيه قول أبي عمرو: إن (القرء): الوقت، وهو يصلح للحيض، ويصلح للطهر (١١١).

٧- روى أبو عبيدة في مجازة عن شيخه أبي عمرو بن العلاء أن (الجفاء) من قول الله ﷻ: «فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً»^(١١٢) مأخوذ من قولهم: (لَجَّاتِ الْقَوْنَرُ)، ((وذلك إذا غَلَتْ فانصبَّ زَبدها، أو سكنت فلا يبقى منه شيء)) (١١٣).

٨- وروى أبو عبيدة أيضًا عن يونس أن أبا عمرو كان يقول في واحد (الهدى) من قول الله ﷻ: «فَأَسْتَيْسِرَ مِنَ الْهَدْيِ» [البقرة: ١٩٦]^(١١٤): ((هَيْئَةً)،

^(١١٠) للطبري: ٥٠٣/٥. ويذكر للزجاج في معانيه ٣٤٥/١ هذا المعنى ومعناه معنى آخر هو: (لِيُجْمَعْنَ وَلِجَمْعِهِنَّ إِلَيْكَ)، وينسبه لأكثر أهل اللغة.

^(١١١) معاني القرآن للزجاج: ٣٠٥/١. (شلمي).

^(١١٢) سورة الرعد: ١٨.

^(١١٣) مجاز القرآن: ٣٢٩/١، ولنظر الطبري: ٤١٥/١٦. وللزجاج في معانيه ٤٥/٣ معنى قريب مما قال أبو عمرو، غير أنه جعل الفعل ثلاثيًا. قال: ((والجفاء: ما جَفَا الولدي؛ أي: رمى به)).

^(١١٤) سورة البقرة: ١٩٦.

تقديرها (جذية السرج)، والجميع: (الجذني)، مخفف. قال أبو عمرو: ولا أعلم حرقاً يُسبَّهه)) (١١٥).

٩- قرأ ابن كثير ومجاهد والحسن البصري وهم شيوخ أبي عمرو: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [العج: ١٥] ^(١١٦) مخففة للكاف نقل للطبري عن مجاهد لَنْ معناه: ((حُبِسَتْ أَبْصَارُنَا عَنْ الرَّؤْيَا وَالنَّظَرِ)). من (سكور للريح)؛ وذلك سكونها وركودها، يقال منه: سَكِرَتِ الرِّيحُ؛ إِذَا سَكَّتْ وَرَكَتْ)). وفي اللسان لَنْ لِحَسَنَ فَسَّرَهَا: (سُحِرَتْ). وذهب أبو عمرو إلى أنه ((ماخوذ من سُكَّرَ الشَّرَابُ، وَلَنْ معناه: قَدْ غَشَى أَبْصَارُنَا (السُّكْرَ)) (١١٧). وقرأ بقية السبعة ومنهم أبو عمرو: ﴿سُكِّرَتْ﴾ [العج: ١٥] مشددة للكاف. قال الطبري: ((بمعنى: غَشِيَتْ وَغَطِيَتْ، هَكَذَا كَانَ يَقُولُ أَبُو عمرو بن العلاء)) (١١٨). فخالف أبو عمرو شيخه، وتأول القراءتين.

١٠- لأبي عمرو مناظرة مع شيخ للمعتزلة عمرو بن عبيد (١١٩) اعتمد فيها أبو عمرو للغة والمعاني لنحضر كلام عمرو بن عبيد في الوجد

(١١٥) مجاز القرآن: ٦٩/١، وضبط الدكتور فولاد سزكين (فندية) و(جندية) فيه بالفتح والسكون خطأ، وانظر الطبري: ٣٤١/٣، وتطبيق استلطنا العلامة محمود شكر عليه في هـ ٢.

(١١٦) وانظر السبعة: ٣٦٧، وعزو قراءة للتخفيف للصن البصري في اللسان (سكور).

(١١٧) الطبري: ٧٤/١٤، وتهذيب اللغة (سكور) واقتصر عليه دون القول الآخر لأبي عمرو.

(١١٨) انظر الطبري: ٧٤/١٤، ومعاني الزجاج ١٧٥/٣، واللسان (سكور).

(١١٩) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن بلب البصري (ت ١٤٤هـ)، أخذ عن الحسن البصري، وهو أحد رؤوس المعتزلة، كان يقرأ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسَلُّ، عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ بإبدال الألف همزة لتظهر المحتسب

والوعيد. روى الزبيدي في الطبقات (١٢٠)، والقفطي في الإنباه (١٢١):
 ((جاء عمرو بن عبّيد للمعتزلي إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا
 عمرو، أخلف الله وعده؟ قال: لا، قال أفرأيت من وعده الله على عمله عقاباً
 يُخلف وعده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العُجْمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير
 للوعيد، إن العرب لا تعِدُّ عاراً ولا خُلُفاً، والله ﷻ إذا وعد وفى، وإذا أوعِد
 ثم لم يفعل كان ذلك كرمًا وتفضلاً، وإنما الخلف أن تعِد خيراً ثم لا تفعله،
 قال: وأجدُ هذا في كلام العرب؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأول:

وَلَا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَا عَشْتُ صَوْتِي وَلَمَّا أَخْتَبَيْتُ مِنْ صَوْتِهِ الْمَتَّهِدُ

وَإِنِّي أَوْعَدْتُهِ وَوَعَدْتُهُ لَمْخْلِفٍ يُعَادِي وَمَنْجَزٍ مَوْعِدِي (١٢٢)

وتكلم في هذه الآية: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] (١٢٣)، قال: كيف خرج

٤٧، ونحوها قرامته: «خطوات» المحتسب ٢٣٣/١، ولنظر ٢٨٤/١-٢٨٥. وترجمته في طبقات القراء
 لابن الجزري ٦٠٢/١.

(١٢٠) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ٣٩-٤٠.

(١٢١) إنباه الرواة: ١٣٩/٤، والخبر في سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٦-٤٠٩.

(١٢٢) هما لعامر بن الطفيل في ديوانه ص، وقال ابن حجة الحموي في ثمرات الأورق ٤٣: ((ونكر
 حيان بن سليمان عامر بن الطفيل، فقال: كان والله إذا وعد للخير وفى، وإذا أوعِد بالشر أخلف، وهو
 القائل: ...)) وذكر البيهقي، وهما في الحماسة البصرية، واللسان (ختاً) ولختاً منه أي: فرق كما في اللسان،
 وذهب صاحب الصحاح، وتاج العروس (ختاً) أنها بمعنى: لختياً واستتر، وهي كلمة كثر تصحيفها في
 مظان البيهقي. والشاهد أنه تمذح بالوفاء بالوعد فهو منجَزٌ موفٍ، وخلفه الوعيد لم يُسم به مخلفاً.

للقول من الفريقين بلفظ واحد، وهو (وعد)؟ فقال: لأنّ للعرب نقول: ((وعدته خيراً، ووعدته شراً)) فلو أسقطوا (للخير) و(للشر) قيل في الخير: (وعدت)، وفي الشر: (أوعدت) ((

* * *

أخرج من هذا الذي سبق عن أبي عمرو بن العلاء بما يلي:

يَقِفُ المعنى بوضوح وراء اختيار أبي عمرو من بين قراءات شيوخه أشدّها انساقاً مع سياقي الحال والمقال، وأقربها للعرف اللغوي، وأقيمها في التقعيد النحوي، بلا ميل عن سنن الاتباع إلى قياس النحو. غير أن هذا المعنى خفي وراء القراءة، كامن فيها، لا يظهر إلا عند تعليله وتأويله.

يخرج أبو عمرو بالتأويل والتعليل النحوي واللغوي كثيراً مما اختاره، مظهرًا معناه، مومضًا بلمحات بارعة من معاني القرآن تشير لإرهاصات الأول. وكثير مما ترك تأويله، لو لعله لم يصلنا، عرض له خالفوه من النحاة كسيبويه، وأصحاب معاني القرآن كالفرّاء والزجاج، والمفسرين كالطبري، والمحتجّين للقراءات كأبي علي الفارسي وابن جني فبيّنوا علته ومكمن المعنى فيه.

لأبي عمرو في قراءته ركونٌ للهجاتِ نَبَّةٌ على مواضعٍ منه، وقد كان هناك كبير أثرٍ للهجته التميمية، حين كانت تُوافقُ وَجَّةَ الرواية، في قراءته؛ فانمازت بإسكان عين الكلمة ولامها كثيراً مما ظهر أثره على المعنى في بعض المواضع. ثم إنه خالف لهجته هذه، حين اقتضت الرواية ذلك، فعَدَلَ عنها إلى غيرها كلهجة قريش مثلاً، أو عدَلَ عن سكون العين إلى الحركة، وكان لذلك العدولُ أحياناً أثرٌ على المعنى.

لأبي عمرو وجوه قراءة تفرَّد بها بين السبعة، وأغلبها عن شيوخه من غير السبعة؛ كابن جبير، والحسن البصري، وأبي عبد الرحمن السلمي، ويحيى بن يعمر، وغيرهم. رأيتُ الطبري قنمَ غير هذه الوجوه لا شيء إلا لخلاف أبي عمرو إجماعَ القراءة من الأمصار.

للتناسب الصوتي، والميل لخفة النطق كان وراء اختيار كثير من الوجوه عند أبي عمرو.

يستشهد أبو عمرو أحياناً بالشعر على ما يُوردُ من معاني الآي.

للمعاني والتأويلات اللغوية دور واضح عند أبي عمرو في إصلاح ما وقع من فهم خاطيء بنيت عليه عقائد كثير من الفرق الكلامية (١٢٤)، وهذه

(١٢٤) روى ابن الأثير في نزهة الألبا ٣٠ عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء قال: ((أكثرُ من تَرَنُّنٍ بالعراق لجهلهم بالعربية)). قلتُ: ومن هذا الباب - باب العربية - كان مخدَل أكثر أصحاب النحل يتأولون القرآن على أهوائهم، يزعمونه وجوه تفسير، والملاحظ أن انحسارَ (الكلام) إبان نكبة المعتزلة، وخشية أصحاب النحل على أنفسهم بطشَ السلطان رَمَى بكثير منهم إلى العربية، فكان أكثرُ أهل العربية بالعراق

السبيل - سبيل المعاني والرجوع إلى اللغة - أهم ما يرجع إليه في هذا الإصلاح، وقد كان هذا المنهج أبرز ما وجدت من وجوه الاحتكام والترجيح عند الطبري الذي ناقش كثيرًا جدًا من المفسرين والقراء مرتكزًا على مقولات لغوية أو نحوية أجدها في كتاب سيبويه.

المصادر والمراجع:

* الإتيان في علوم القرآن للسيوطي تح. سعيد المندوب، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، وبتحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . المملكة العربية السعودية ، د.ت.

* أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. أبو عمرو بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين، ط ١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

* الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني، تح. د/عبد المهيمن طحان، ط ١، دار المنارة، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

* أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م .

* البحث اللغوي عند الهنود، د/أحمد مختار، عمر، دار الثقافة، بيروت

عامّة، وبالبصرة خلعة، آنذاك ((أصحاب الأهواء إلا أربعة؛ فإنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي)) على ما قال إبراهيم بن إسماعيل الحربي. تهذيب الكمال للمزي: ٣٢٩/٨، ٣٨٨/١٨، ١٢٥/٣٤.

العربي ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

* تاريخ التراث العربي ، د/ فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د/ محمود فهمي حجازي وآخرون ، ط ١ ، جامعة الرياض ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

* التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

* التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، د/ مساعد بن سليمان الطيار ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ١٤٢٢هـ .

* تهذيب الأسماء واللغات للنووي، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، د.ت

* تهذيب التهذيب ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
ومطبوعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٦هـ .

* تهذيب الكمال، تح. د/بشار عواد معروف، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت،
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

* تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تح. جمع من
المحققين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ

* التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف ائمنواوي، تح . د /

محمد رضوان الداية، ط ١، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت،
والمشرق، ١٤١٠ هـ .

* ثمرات الأوراق ، لابن حجة الحموي ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ،
ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

* جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر الطبري، محمد
بن جرير بن يزيد الأملّي، تح. أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر ،
ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ ، وطبعة مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، وبتحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي
، ط ١ ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

* الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تح. د/ عبد العال سالم مكرم،
ط ٣، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ، ط ١ ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

* الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تح. محمد علي النجار ، ط ٣ ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

* ديوان أمية بن أبي الصلت تح. بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط ١ ، وزارة
الإعلام العراقية ، بغداد ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- * ديوان الهذليين، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م
- * سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن قايماز الذهبي ، تح. شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ
- * شعر النابغة الجعدي ، تح. عبد العزيز رباح ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، دمشق، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- * الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تح. أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- * ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، ج١ ، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م عن طبعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- * طبقات خليفة بن خياط تح. د/سهيل زكار، ط١، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
- * طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، تح. العلامة محمود محمد شاكر ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- * غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، نشر ج. برجستراسر ، ط١ ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م .

* الطبقات الكبرى لابن سعد، تح. د/إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م

* طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأذنه وي، تح. سليمان بن صالح الخزي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

* علم الدلالة لأستاذنا د/أحمد مختار عمر، ط ٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١م

* عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تح. محمود محمد السيد الدغيم، دار السيد، ط ١، ١٤٠٧هـ -

* العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. د/مهدي المخزومي، ود/إبراهيم البسامرائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ -

* غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، نشر ج. برجستراسر، ط ١، مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م.

* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح. محمد

فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، القاهرة ،
١٣٧٩هـ .

* القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط ٢ ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ

* الكتاب لسبويه ، تح. عبد السلام هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م . وطبعة بولاق القاهرة ١٣١٦هـ

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله
القسطنطيني المعروف بالحاج خليفة ، مصورة دار الفكر بيروت ، د.ت.
عن طبعة استانبول ، ١٩٤١ م .

* لسان العرب ، لابن منظور ، مطبعة بولاق ، ١٣٠٠هـ .

* اللغة العربية معناها ومبناها ، د/ تمام حسان ، ط ٤ ، عالم الكتب ، القاهرة
، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .

* مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، تح. د/ محمد فؤاد سزكين ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤ م .

* المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان
بن جني. تح. أ/ على النجدي ناصف ، ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط ١ ،

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

المحكم والمحيط الأعظم ، تح/د/عبد الحميد هندلوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

* كتاب إعراب القرآن ومعانيه للزجاج تحقيقاً ودراسة ، رسالة دكتوراه ، د/ هدى محمود قراعة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م

* معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد ، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

* معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي ، تح. محمد علي النجار ، وعبد الفتاح شلبي ، وأحمد يوسف نجاتي ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

* معجم الأبناء : (إرشاد الأريب إلى معرفة الأسيب) لـإياقوت الرومي الحموي ، تح. د/إحسان عباس ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣م .

مغني اللبيب عن كتب الأعريب ، لابن هشام الأنصاري ، تح. مازن المبارك وآخرين ، ط ١ ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٢هـ .

* مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تح . عبد السلام هارون ،

مصورة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤هـ ، عن طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

* موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبرت هنري روبنز، ترجمة د/أحمد عوض، عالم المعرفة (العدد ٢٢٧)، الكويت، ١٩٩٧

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين الذهبي ، تح. محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

* النحو الوافي للأستاذ عباس حسن، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م

* النحو والدلالة. مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

النحو وكتب التفسير، د/ إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط ٣، ١٩٩٠م .

* نزهة الألباء في طبقات الألباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

* النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن الجزري ، تصحيح علي محمد الضباع مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، د.ت.

* النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تح. د/محمود الطنحاني ، و طاهر الزاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

* وفيات الأعيان ولتباء لبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تح. د/إحسان عباس ، ط ١ ، دار صادر - بيروت ١٩٩٤م.